مفتاح الجنة
في
الاحتجاج بالسنة

للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي

تحقيق، تخريج، تعليق
ڈاکٹر سراج الاسلام حنیف

دار القرآن والسنة
ہوسی ○ شہباز گڑھی ○ مردان

اسم الكتاب:مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ فِي الْإِحْتِجَاجِ بِالسُّنَّةِ
اسم المؤلف:الحافظ عبدالرحمن بن أبي بكر
جلال الدين السيوطي
المولودسنة:٨٤٩هـ=١٤٤٥م
المتوفَّى سنة:٩١١هـ=١٥٠٥م
تحقيق،تخريج،تعليق:الدكتور سراج الإسلام حنيف
الطبعة الأولَى في باكستان [مخرجة ومنقحة]
١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م
الطبعة الثانية:١٤٣١هـ=٢٠١٠م
الطبعةالثالثة:محرم الحرام١٤٣٨هـ=اكتوبر١٩١٦م

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الإهداء :

إلى مَنْ

رَعَانِي بِتَوجِيهِهِ وَحِرصِهِ لِأَشُبَّ بَعِيداً عَن لَهوِ الصِّغَارِ وَعَبَثِ الشَّبَابِ

إلى مَن عَلَّمَني القرآن الكريم والتوحيد

إلى شقيق أبي، إلى عمي المُحتَرَم

عبد الودود[1] بن خير محمّد بن كل محمّد

عليهم شآبيب الرضوان، و الرحمة والغفران

أُقدِّم هذا السِّفر الجميل، و الكتاب الجليل

إحدَى ثمرات غرسهم الكريم، هَدِيَّة حُبٍّ، ووَفاءٍ، وعِرفان.

أسأل اللّٰه العظيم، رب العرش الكريم أن يقبل له مني هذا العمل

إعترافاً متواضعاً بجميله و تحيةً طيبةً له.

رَبِّ اَوْزِعْنِیْ اَنْ اَشْكُرَنِعْمَتَكَ الَّتِیْ اَنْعَمْتَ عَلَیَّ وَعَلٰی وَالِدَیَّ وَاَنْ اَعْمَلَ صٰلِحاً تَرْضٰهُ وَاَصْلِحْ لِیْ فِیْ ذُرِّیَّتِیْ اِنِّیْ تُبْتُ اِلَیْكَ وَاِنِّیْ مِنَ الْمُسْلِمِیْنَ.

وأنا العبد الضعيف النحيف

الدكتور سراج الإسلام حنيف

٢٥ ديسمبر ٢٠٠٧ م

---

(١) الذي وافتُهُ المنية : ١٤ رجب المرجب ١٤١٠هـ = ١١ فروري ١٩٩١م

-اَللّٰهم أكرم نُزُلَه، وبَرِّدْ مَضْجَعَهُ، وَاغْسِلْهُ مِنْ خَطَايَاهُ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ.

-اَللّٰهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، اَللّٰهُمَّ إِنْ كَانَ مُحْسِناً فَزِدْ فِي حَسَنَاتِهِ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئاً فَتَجَاوَزْ عَنْهُ.

-اَللّٰهُمَّ أَبْدِلْهُ دَاراً خَيْراً مِّنْ دَارِهِ، وَزَوْجاً خَيْراً مِّنْ زَوْجِهِ، وَأَهْلاً خَيْراً مِّنْ أَهْلِهِ. [**آمين**]

بسم الله الرحمن الرحيم

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : سمعتُ رسولَ اللّٰه ﷺ يقول :

نَضَّرَ[١] اللّٰهُ امرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثاً فَحَفِظَهُ حَتّٰى يُبَلِّغَهُ فَرُبَّ[٢] حَامِلِ فِقْهٍ إِلٰى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيْهٍ[٣] .

[أخرجه أبو داؤد، كتاب العلم[١٩]باب فضل نشرالعلم[١٠]برقم:٣٦٦٠، والترمذي، كتاب العلم[٤٢] باب ماجاء في الحث على تبليغ السماع[٧]والنسائي في الكبرى، كتاب العلم[٥٠] باب الحث على إبلاغ العلم[٨]برقم:٥٨٤٧، وابن ماجة، المقدمة، باب مَن بلَّغ علماً[١٨]برقم: ٢٣٠]

---

(١) نَضَرَهُ، ونَضَّرَهُ، وأَنْضَرَهُ، أي: نَعَّمَهُ، ويُروى بالتخويف والتشديد، من النَّضارة، وهي في الأصل حسنُ الوجه، والبَرِيقُ، وإنما أراد: حَسَّنَ خُلُقَهُ وقَدْرَهُ. [النهاية ٥:٦١، الغريبين:١٨٥٣]

(٢) **قال العيني:** رُبَّ هو للتقليل، لكنه كثر في الإستعمال للتكثير بحيث غلب حتى صار كأنه حقيقةٌ فيه. [عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٢:٣٥، كتاب العلم[٣] باب قول النبي ﷺ: رب مبلغ أوعى من سامع]

(٣) **قال أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي:** ﴿حَامِلُ فقهٍ﴾ أي: علم، قد يكون فقيهاً وقد لا يكون ﴿أَفْقَهَ﴾ فيحفظه ويبلغه ﴿إلى من هو أفقه منه فيستنبط منه مالا يفهمه الحامل ﴿حامل فقه﴾ أي: علم ﴿ليس بفقيهٍ﴾ لكن يحصل له الثواب لِنفعه بالنقل.

وفيه دليلٌ على كراهةِ اختصار الحديث لمن ليس بالمتناهي في الفقه، لأنه إذا فعل ذلك فقطع طريق الإستنباط والإستدلال لمعاني الكلام من طريق التَّفَهُّم، وفي ضمنه وجوب التفقه، والحث على استنباط معاني الحديث، واستخراج المكنون من سِرِّه. [عون المعبود شرح سنن ابي داود ٩:١٥١]

مُقَدِّمَةُ الْمُحَقِّقِ

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمدلله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيآت أعمالنا مَن يهده الله فلا مضل له ومَن يضلل فلا هادي له ، وأشهد[1] أن لّا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمداً عبده و رسوله.

يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوا اتَّقُوا اللّٰهَ حَقَّ تُقٰتِهٖ وَلَا تَمُوْتُنَّ اِلَّا وَاَنْتُمْ مُّسْلِمُوْنَ.

[سورة آل عمران ٣:١٠٢]

يٰٓاَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوْا رَبَّكُمُ الَّذِيْ خَلَقَكُمْ مِّنْ نَّفْسٍ وَّاحِدَةٍ وَّخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيْرًا وَّنِسَآءً وَّاتَّقُوا اللّٰهَ الَّذِيْ تَسَآءَلُوْنَ بِهٖ وَالْاَرْحَامَ اِنَّ اللّٰهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيْبًا.

[سورة النساء ٤:١]

يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوا اتَّقُوا اللّٰهَ وَقُوْلُوْا قَوْلًا سَدِيْدًا ۝ يُّصْلِحْ لَكُمْ اَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوْبَكُمْ وَمَنْ يُّطِعِ اللّٰهَ وَرَسُوْلَهٗ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيْمًا ۝ [سورة الاحزاب ٣٣:٧٠-٧١]

أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهَدْيِ: هَدْيُ محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة[2].

---

(١) **قال الحافظ ابن القيم** : الأحاديث كلها متفقةٌ على أن نستعينه ونستغفره ونعوذ به ، بالنون و الشهادتان بالإفراد. **قال شيخ الإسلام ابن تيمية:** لما كانت كلمة الشهادة لا يتحملها أحدٌ عن أحدٍ ولا تقبل النيابة بحال، أفرد الشهادة بها ، ولما كانت الإستعانة والإستعاذة والإستغفار يقبل ذلك، فيستغفر الرجل لغيره، ويستعين الله لغيره، ويستعيذ بالله له، أتى فيها بلفظ الجمع، ولهذا يقال: أللهم أعِنّا و أعِذنا واغفرلنا. وفيه معنى آخر وهو: أن الإستعانة والإستعاذة والإستغفار طلبٌ و إنشاءٌ فيستحب للطالب أن يطلبه لنفسه ولإخوانه المؤمنين، وأما الشهادة فهي إخبارٌ عن شهادته للّٰه بالوحدانية ولنبيه ﷺ بالرسالة، وهي خبرٌ يُطابق عقد القلب وتصديقه، وهذا إنما يخبر به الإنسان عن نفسه لعلمه بحاله بخلاف إخباره عن غيره فإنه إنما يخبر عن قوله ونطقه، لا عن عقد قلبه.

[تهذيب السنن ٣:٥٤]

(٢) هذه هي خطبة الحاجة، التي كان رسول الله ﷺ يعلم أصحابه أن يقولوها بين يدي كلامهم في أمور دينهم كما في صحيح مسلم ، كتاب الجمعة [٧] باب تخفيف الصلاة والخطبة [١٣] برقم: ٨٦٧.

إعلم أن سنة رسول الله ﷺ وحيٌ أوحاه الله إلى نبيه محمد ﷺ وهي مع كتاب الله العزيزأساس الدين الإسلامي ومصدره،وهما معاً متلازمان، تلازم شهادة أن لاإله إلّاالله،وشهادة أن محمداًرسول الله،ومن لم يؤمن بالسنة لم يؤمن بالقرآن.

ومنذ أزمانٍ غابرةٍ حتى يومنا هذا تتعرض السنة لِهجمات الأعداء،ممن ينتمون إلى الإسلام ومِن غيرهم،ومِن الذين ذَبُّوْاعن السنة النبوية،وكشفوا عوار أعدائها:الحافظ جلا ل الدين السيوطي في كتابه المختصرالمفيد:

مِفتاحُ الجَنَّةِ فِي الإحتجاج بِالسُّنَّةِ

ويسُرُّني أن أحقق وأنشرهذا الكتاب القيم،دفاعاًعن سنة المصطفى ﷺ ونصحاً لمن أحب لنفسه الخير والسعادة في الدنيا والآخرة.

وفي المقدمة مباحث:

- **البحث الأول**:الحافظ السيوطي في سطورٍ
- **البحث الثاني**:معنى السنة لغةً واصطلاحًا
- **البحث الثالث**:إتباع النبي ﷺ
- **البحث الرابع**:جُهودالأئمة في حفظ السنة

والله سبحانه وتعالى الموفق والهادى إلى سواء السبيل .

البحث الأول:الحافظ السيوطي في سطورٍ

هوعبد الرحمن بن أبي بكربن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي جلال الدين :إمام،حافظ،مؤرخ، أديبٌ ، له نحو ٦٠٠ مُصَنَّفٍ ، منها الكتاب الكبير،والرسالة الصغيرة.

ولد سنة:٨٤٩هـ=١٤٤٥م،ونشأ في القاهرة يتيماً[مات والده وعمره خمس سنوات] ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس،وخلا بنفسه في روضة المِقياس، على النيل ، مُنزوياً عن أصحابه جميعاً،كأنه لايعرف أحداًمنهم،فألَّفَ أكثر كتبه،وكان الأغنياء والأمراء يزورونه ويعرضون عليه الأموال والهدايا فيردها وطلبه السلطان مِراراً فلم يحضرإليه، وأرسل إليه هدايافرَدَّهاوبقي على ذلك إلى أن تُوُفِّيَ سنة: ٩١١هـ= ١٥٠٥م،وقرأتُ في كتاب "المنح البادية":أنه كان يلقب بإبن الكتب ، لأن أباه طلب من أمه أن تأتيه

بكتاب،ففاجأتها المخاض،فولدته وهي بين الكتب(١).

وله ترجمة في:

[١] الضوء اللامع لأهل القرن التاسع،للحافظ السخاوي

[٢] الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة،لنجم الدين الغزّي

[٣] النورالسافر عن أخبارالقرن العاشر،لعبد القادربن شيخ العيدروس

[٤] البدرالطالع بمحاسن من بعدالقرن السابع:للشوكاني

[٥] شذرات الذهب في أخبار مَن ذهب،لإبن عماد الحنبلي

[٦] روضات الجنات فيأحوال العلماء والسادات لمحمد باقرالموسوي

[٧] الفوائد البهية في طبقات الحنفية:لعبد الحي اللكهنوي

[٨] الأعلام:لخيرالدين الزِّركلي

البحث الثاني :معنى السُّنَّةِ لغةً واصطلاحاً

السُّنَّةُ لغةً:

السُّنَّةُ والسُّنَنُ بمعنىً واحدٍ:الطريقةُ ، يُقالُ:استقام فلانٌ على سَنَنٍ واحدٍ،ويُقال: امضِ على سَنَنِك وسُنَنِك، أي : على وجهك ، وتَنَحَّ عن سَنَنِ الخيل أي:عن وجهه،و عن سَنَنِ الطريق وسُنَنِه(٢) وسَنَنِه ثلاث لغات(٣).

السُّنَّةُ:الطريقةُ قبيحةً كانت أوحسنةً،ومن ذلك قول النبيﷺ:من سَنَّ في الإسلام سُنَّةً حَسَنَةً،فَعُمِلَ بهابعده،كُتِبَ له مثل أجر من عمل بها،ولايُنقص مِن أجورِهم شيئ ومَن سَنَّ في الإسلام سُنَّةً سيئةً فَعُمِل بها بعده ، كُتِب عليه مِثلُ وِزرِمَن عمل بها ،ولا ينقص مِن أوزارهم شيئ(٤).

وسَنَّ الطريق،سَنَّهاسَنَّا:سارعليه ، قال الهُذَلِي(٥):

---

(١) الأعلام لخيرالدين الزِّرِكْلِيْ٣:٣٠١.

(٢) وسُنُنِه [بضمتين] أيضاً:كما فى تاج العروس ولسان العرب.

(٣) الصِّحاح :٢١٣٨-٢١٣٩.

(٤) رواه مسلم،كتاب الزكاة[١٢]باب الحث على الصدقة[٢٠]برقم:٦٩-١٠١٧،وأحمد من حديث جرير بن عبد الله ﷺ ٤:٣٥٧-٣٥٨.

(٥) خويلد بن خالد بن مُحَرِّث ، أبوذؤيب ، من بني هذيل بن مدركة بن مضر ، شاعرٌ فحلٌ .....

فلا تَجْزَعَنْ مِنْ سُنَّةٍ أنت سِرْتَها
فأولُ راضٍ سُنَّةَ مَن يسيرها (١)

وقال الأزهري(٢): السنة :الطريقة المحمودة المستقيمة،ولذلك قيل:فلانٌ من أهل السنة ، أي: أهل الطريقة المستقيمة المحمودة(٣) .

وسننت لكم سنة فاتبعوها(٤).

قال ابن الأثير(٥):والأصل فيهاالطريقة والسيرة،وإذاأطلقت في الشرع فإنمايُراد بهاما أمربه النبيﷺ ونهَى عنه ونَدَب إليه قولاًوفعلاً مما لم يتعلق به الكتاب العزيز،و لهذايُقال في أدلة الشرع:الكتاب و السنة،أي: القرآن والحديث(٦).

وسنة النبيﷺ:طريقته التي كان يتحراها(٧).

وقد يُرَادبه المستحب،سواءً دَلَّ عليه كتابٌ أوسنةٌ أوإجماعٌ أوقياسٌ(٨).

وتُطلق السنة على مايُقَابِلُ القرآن،قال النبيﷺ:يؤمُّ القوم أقرأهم لكتاب اللّٰه،فإن كانوا في القراءة سواءً فأعلمهم بالسنة ، فإن كانوا في السنة سواءً فأقد مهم هجرةً

..... مخضرم،أدرك الجاهلية والإسلام ، سكن المدينة واشترك في الغزوات، والفتوح، مات بمصر سنة:٢٧هـ= ٦٤٨م،هوأشعرهذيل من غيرمدافعة،وفد على النبيﷺليلة وفاته فأدركه وهومُسَجًّى، وشهد دفنه. [شواهدالمغني :١٠،الأعلام ٢:٣٢٥]

(١) ديوان الهذليين ١:١٥٧،مجمل اللغة:٣٤٤،الصحاح:٢١٣٩.

(٢) محمد بن أحمد بن الأزهربن طلحة بن نوح بن أزهرالهروي،أبومنصور،أحدالأئمة في اللغة و الأدب، كان فقيهاً،شافعيَّ المذهب،غلبت عليه اللغة فا شتهربها.....وكان متفقاً على فضله وثقته ودرايته وورعه،مولده ووفاته في هراة بخراسان،نسبته إلى جده الأزهر،توفي سنة:٣٧٠هـ.
[وفيات الأعيان ٤:٣٣٤-٣٣٥]

(٣) كما في تاج العروس من جواهرالقاموس٩:٢٤٤.

(٤) تهذيب اللغة١٢:٢١٠.

(٥) أبوالسعادات المبارَك بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحدالشيباني إبن الأثيرالجزري،مجد الدين،كانت ولا دته سنة:٥٤٤هـ،بجزيرة ابن عمر،بناها عبد العزيزبن عمر، ونشأبها،وانتقل إلى الموصل،له المصنفات البديعة،والرسائل الوسيعة،توفي سنة:٦٠٦هـ.
[وفيات الأعيان ٤:١٤١،الترجمة :٥٥٢]

(٦) النهاية ٢:٤٠٩، لسان العرب ٦:٣٩٩،مجمع بحارالأنوار٣:١٣١.

(٧) المفردات في غريب إعراب القرآن :٢٤٥.

(٨) مجمع بحارالأنوار ٣:١٣١.

فإن كانوافي الهجرة سواءً فأقدَمَهم سِلْماً،ولايَؤُمَّنَّ الرجلُ الرجلَ في سلطانه،ولا يقعد في بيته على تكرمته إلَّابإذنه (١).

وقال ﷺ:إن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال،ثم علِموامن القرآن،ثم علِموا من السنة(٢).

وتُطلق على ما يقابل الفرض من الأحكام الخمسة،وربمالايُراد إلَّا ما يُقابل الفروض، كفروض الوضوء وسننه.

السنة إصطلاحاً:

يطلق جمهورعلماء الحديث**السنة**على مايُقابل البدعة،فيقولون:فلان على السنة،إذا كان عمله وتصرفاته الدينية وفق ماجاء به النبي ﷺ كمايُقال:فلانٌ على خلاف السنة أوفلانٌ مخالفٌ للسنة:إذاكان مبتدعاً وعاملاً على خلاف هدى النبي ﷺ.

يقول الإمام النَّوَوِي(٣): السنة:سنة النبي ﷺ وأصلها:الطريقة،وتطلق سنته ﷺ على الأحاديث المروية عنه ﷺ،وتطلق السنة على المندوب(٤).

هذا إطلاق من إطلاقات السنة عند المحدثين.

وتطلق السنة على المندوب،وهوخلاف الواجب.

قال الإمام النووي:قال جماعة من أصحابنافي أصول الفقه:السنة والمندوب و

---

(١)أخرجه مسلم،كتا ب المساجد ومواضع الصلاة [٥] باب من أحق بالإمامة[٥٣]برقم:٢٩٢ -[٦٧٣] وأبوداود،كتاب الصلاة[٢]باب من أحق بالإمامة[٦١]برقم:٥٨٢،والنسائي،كتا ب الإمامة[١٠] باب من أحق بالإمامة [٣] برقم:٧٨٠، كلهم من حديث أبي مسعود الأنصاري البدري ﷺ.

(٢)أخرجه البخاري، كتاب الرقاق[٨١]باب رفع الأمانة[٣٥]برقم:٦٤٩٧،كتاب الفتن[٩٢] باب إذا بقي في حثالة من الناس[١٣]برقم:٧٠٨٦، كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة [٩٦] باب الإقتداء بسنن رسول الله ﷺ [٢] برقم: ٧٢٧٦، ومسلم، كتاب الإيمان [١] باب رفع الأمانة و الإيمان من بعض القلوب[٦٤]برقم:٢٣٠-١٤٣.

(٣) يحيى بن شرف بن مِرَي بن حسن،الحوراني،النووي،الشافعي،أبوزكريامحيى الدين،علامة بالفقه والحديث،مولده سنة :٦٣١هـ=١٢٣٣م،ووفاته سنة:٦٧٦هـ=١٢٧٧م،مولده ووفاته في نوا،من قرى حوران بسورية،إليها نسبته،تعلم في دمشق، وأقام بها زمناًطويلاً.

[طبقات الشافعية الكبرى ٨:٣٩٥-٤٠٠،الأعلام ٨:١٤٩]

(٤) تهذيب الأسماء واللغات٢:٤٠٤.

التطوع والنفل والمرغب فيه والمستحب كلهابمعنى واحد،وهوماكان فعله راجحاً على تركه ولاإثم في تركه،يقال:سَنَّ رسول اللّهﷺ كذا، أي:شرعه وجعله شرعاً(١).

هذااصطلاح جمهور الفقهاء على اختلاف مذاهبهم غالباً،وقد يتوسع في استعمال السنة تشمل فعل الخلفاء الراشدين المهديين ، يشهد لهذا قوله ﷺ :عليكم بسنتي و سنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي (٢) إلَّا أنها إذا أطلقت عند المحدثين تتصرف غالباًإلى أقوال النبيﷺ وأفعاله وتقريراته.

البحث الثالث:إتّباع النبيﷺ

إتباع النبيﷺأحد أساسيات دين الإسلام ومُسَلَّماته،وقد تواترات النصوص الشرعية الصحيحة في بيانه ، إلَّا أن ذلك لم يمنع إنحراف طوائف من المسلمين عن سلوك الجادة فيه،حيث اضطربت فيه أفهام و زَلَّتْ أقدام،مماجعل الحاجة لإيضاحه تعظم،والبيان يتوجب،ولذاسأحاول في هذه الدراسة التعريج عليه لبيانٍ في بعض جوانبه،راجياالله تعالى أن يوفقني للخير ويصلح القصد.

الإتباع في اللغة:

مصدر:اتبع الشيءُ :إذاسارفي أثره وتلاه،والعلمة تدور حول معاني اللحاق،و التطلب، والإقتضاء،والإقتداء،والتأسي.

قال ابن منظور (٣):اتَّبَعَ القرآن:ائتَمَّ به،وعمل بما فيه .

وفي حديث أبي موسى الأشعريرضي الله عنه (٤):إن هذا القرآن كائنٌ لكم أجراً،وكائنٌ

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات٢:٤٠٤.

(٢) أخرجه أحمد ٤:١٢٦-١٢٧،والدارمي١:٥٧، المقدمة،باب إتباع السنة [٦]برقم:٩٥،وأبو داؤد،كتاب السنة [٣٤]باب في لزوم السنة[٦]برقم:٤٦٠٧،والترمذي، كتاب العلم [٤٢] باب ماجاء في الأخذبالسنة وإجتناب البدع[١٦]برقم:٢٦٧٦.

(٣) محمد بن مكرم بن علي، أبوالفضل،جمال الدين، ابن منظور، الإفريقي،صاحب لسان العرب،الإمام اللغوي،الحجة،من نسل رويفع بن ثابت الأنصاريرضي الله عنه،ولد سنة:٦٣٠هـ=١٢٣٢م بمصرٍ،وفي طرابلس الغرب،وخدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة،ثم ولّي القضاء في طرابلس،وعادإلى مصرفتوفي بهاسنة:٧١١ هـ =١٣١١م،وقد ترك بخطه نحوخمس مائة مجلد،وعمي في آخرعمره.

[الدررالكامنة ٤:٢٦٢-٢٦٣،الأعلام ٧:١٠٨]

(٤) عبدالله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب،أبو موسىرضي الله عنه من بني الأشعر،من قحطان،صحابي=

عليكم وِزراً،فاتبعواالقرآن ولا يتبعنكم القرآن فإنه من يتَّبِع القران يَهبِط به على رياض الجنة،ومن يتبعه القرآنُ يُزَخُّ في قفاه حتى يَقذِف به في نارِجهنم(١).

يقول: اجعلوه أمَامَكم ثم اتلوه كماقال اللّٰه تعالى:اَلَّذِيْنَ اٰتَيْنٰهُمُ الْكِتٰبَ يَتْلُوْنَهٗ حَقَّ تِلاوَتِهٖ(٢) أي: يتبعونه حق اتباعه ، و أراد : لا تدعوا تلاوته والعمل به فتكونوا قد جعلتموه وراء كم كمافعل اليهودحين نبذوا ما أُمِروابه وراء ظهورهم ، لأنه إذا اتبعه كان بين يديه ، وإذا خالَفَه كان خلفه ، وقيل:معناه : لايتبعنكم القرآن أي:لايطلبنكم القرآن بتضييعكم إيَّاه كما يطلب الرجل صاحبه بالتبعة (٣).

الإتباع فى الشرع:

هوالإقتداء والتأسى بالنبى ﷺ فى الإعتقادات،والأقوال،والأفعال،و التروك بعمل مثل عمله،على الوجه الذى عمله ﷺ من ايجاب أوندب أو اباحة أو كراهة مع توفرالقصد والإرادة فى ذلك.

ويكون الإتباع للنبى ﷺ فى الإعتقادات بأن يعتقدالعبد مااعتقده النبى ﷺ على الوجه الذى اعتقده،من ناحية الوجوب أو البدعية أولكونه من أسس الدين،أو ناقضاًلأصله،أوقادحاًلكماله،من أجل أنه اعتقده ﷺ ويشمله،والإعتقادُ هناقول القلب،وهوالتصديق،وعمل القلب،وهوالإخلاص و المحبة،والتوكل والخوف، والرجاء.

ويكون الإتباع للنبي ﷺ في الأقوال بإمتثال مدلولها،وماجاء ت به من معان،لا أنَّ تكرارألفاظها وتردد نُصوصِها فحسب ، فمثلاً: الإتباع لقوله ﷺ: صلوا كمارأيتموني

.....من الشجعان الفاتحين ، ولد في زبيد باليمن سنة:٢١ق هـ=٦٠٢م،و قدم مكة عند ظهورالإسلام فأسلم،وهاجرإلى أرض الحبشة، ثم استعمله رسول اللّٰه ﷺ على زبيد وعدن،وولّاه عمر رضي الله عنه البصرة سنة: ١٧هـ، فافتتح أصبهان و الأهواز ، ولما ولى عثمان رضي الله عنه أقره عليها ثم عزله ، ثم أقره عليهاعليٌّ رضي الله عنه، توفي بالكوفة سنة:٤٤هـ = ٦٦٥م،له:٣٥٥ حديثًا.[غاية النهاية١:٤٤٢،الأعلام٤:١١٤]

(١) مُصَنَّف ابن أبي شيبة١٥:٤٦٥،برقم:٣٠٦٣٦،١٩:٢٦٠،برقم:٣٥٩٦٧،سنن الدارمي٢:٥٢٦، برقم:٣٣٢٨.

(٢) سورة البقرة ٢:١٢١.

(٣) لسان العرب ٢:١٤،مادة : تبع.

أُصَلِّي [١] يكون بالصلاة كصلا ته .

والإ تبا ع للنبي ﷺ كما يكون في الأفعال بأن نفعل مثل فعله على الوجه الذي فَعَلَه من أجل أنه فَعَلَه.

فقولنا: مثل فعله: لأنه لاتأسِّي مع اختلاف صورة الفعل و كيفيته.

وقولنا: على الوجه الذي فَعَلَه، معناه: المشاركة في غرض ذلك الفعل و نيته اخلاصاً و تحديداً للفعل من حيث كونه واجباً أو مندوباً، لأنه لا تَأَسِّيْ مع اختلاف الغرض والنية وإن اتحدت صورة الفعل.

وقولنا: من أجل أنه فَعَلَه: لأنه لواتحدت الصورة والقصد ولم يكن المراد التأسي و الإقتداء فإنه لايكون إتباعاً.

ويكون الإتباع للنبي ﷺ في التروك [٢] بأن نترك ماترك على الصفة والوجه الذي ترك من أجل أنه ترك، وهي القيود نفسها في الإتباع في الأفعال.

والمراد بإتباع الرسول ﷺ: اتباعه في كل ماجاء به من أوامر ونواهٍ في القرآن و السنة، لقوله ﷺ: ألاإني أوتيتُ القرآن ومثله معه [٣].

المخالفة ضد الإ تباع:

وتكون المخالفة في الإعتقاد والقول والفعل والترك، فأماالمخالفة في الإعتقادفتكون بأن يعتقدالعبدخلاف مااعتقده النبي ﷺ كأن يُحِلَّ إنسانٌ ما عُلِم بالضرورة تحريمه من دين الإسلام، أويُحَرِّمَ ما عُلِمَ بالضرورة حله من دين الإسلام، ومثل أن يبتدع في دين الله تعالى ماليس منه كالإحتفالات البدعية التي لم يفعلهاالنبي ﷺ ولا صحابته ﷺ ومثل أن يقتعد أحدٌ بأن المخالفين لشرع الله تعالى، وما جاء به النبي ﷺ: هم

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأذان[١٠]باب من قال: ليؤذن في السفرمؤذن واحد[١٧]برقم: ٦٣١، وكتاب الأدب[٧٨]باب رحمة الناس بالبهائم[٢٧]برقم:٦٠٠٨، برقم:٦٠٠٨، وكتاب أخبارالآحاد[٩٦] باب ماجاء في إجازة خبرالواحدالصدوق [١]برقم:٧٢٤٦.

(٢) **قال الحافظ ابن القيم:** وتركه ﷺ سنةٌ، كما أن فعله ﷺ سنةٌ. [زادالمعاد ١:٥٢٠]

قال الملا على القارئ: والمتابعة كما تكون في الفعل تكون في الترك أيضاً، فمَن واظَبَ على فعل لم يفعله الشارع فهو مبتدع.

[مرقاة المفاتيح ١:٩٥، تحت حديث: إنما الأعمال بالنيات]

(٣) أخرجه أحمد٤:١٣١، وأبوداؤد، كتاب السنة[٣٤]باب في لزوم السنة[٦]برقم:٤٦٠٤.

أولياء اللّٰه تعالى و أحِبَّاؤه.

والمخالفة في القول تكون بترك امتثال ما اقتضاه القول، ودَلَّ عليه مِن وُجوب أو حظر، والمخالفة في الفعل تكون بالعدول عن فعل مثله مع كونه واجباً، والمخالفة في الترك تكون بفعل ما ترك مع كونه محرَّماً، و لا تكون المخالَفة في ترك المندوب و ترك المندوب وفعل المكروه، بل لاتكون إلَّا في ترك الواجب وفعل المحرم.

علاقة الإتِّباع بالزمان والمكان:

لاعلاقة للزمان المخصص والمكان المخصص بالفعل لمجرد وقوعه فيه إلَّا بدليلٍ خارجي عن ذلك الفعل، فإن خَصَّص المصطفَى ﷺ لنابذلك الدليل الخارجي لذلك الفعل زماناً أومكاناًخصَّصناه به كتخصيص الطواف حول الكعبة والإستلام بالحجرالأسودوالركن اليماني[١] والصيام الواجب بشهررمضان، والوقوف بعرفات في اليوم التاسع من ذي الحجة، و عيدي الفطر والأضحَى بوقتها المعروف، وأمَّا ما فعله بحكم الإتفاق والمصادَفة ولم يقصده لذاته-ولو تكررذلك-مثل:أن ينزل بمكان يصلي فيه، لكونه نزل، لاقصداً لتخصيصه بالصلاة والنزول فيه، فإذا قصدنا تخصيص ذلك المكان بالصلاة فيه أوالنزول لم نكن متبعين، على الأصوب بل مبتدعين، وقد ورد نهي الفاروق عمر رضي الله عنه[٢] في قوله الثابت:أنه كان في السفرفرآهم ينتابون مكاناً يُصَلُّون فيه فقال:ماهذا؟قالوا:مكان صلى فيه رسول اللّٰه ﷺ فقال:أتريدون أن تتخذوا

---

(١) **قال المُلاَّ على القارئ:** لايمسُّ عندالزيارة الجدار، أي:لأنه خلاف الأدب في مقام الوقار، وكذا لايُقَبِّلُه، لأن الإستلام والقُبلة من خواص بعض أركان الكعبة و القِبلة، و لايلتصق به أي:بالتزامه و لصوق بطنه لعدم وروده، ولايطوف، أي:ولايَدُورُحول البقعةالشريفة لأن الطواف من مُختَصَّاتِ الكعبة المنيفة، فيُحرم حول قبورالأنبياء، والأولياء، ولاعِبرة بما يفعله العامة الجَهَلَة، ولو كانوا في صورة المشائخ والعلماء ولا ينحني، ولايقبل الأرض، فإنه أي:كل واحدٍبدعةٌ، أي:غيرمستحسنة، فتكون مكروهه، وأمَّاالسَّجدة فلاشك أنها حرامٌ، فلا يغتر الزائربمايرى من فعل الجاهلين، بل يتبع العلماء العاملين. [المسلك المتقسط :٢٧٦]

(٢) عمر بن الخَطَّاب بن نفيل، القرشي، العدوي، أبو حفص رضي الله عنه: ثاني الخلفاء الراشدين، وأول مَن لُقِّبَ بأميرالمؤمنين، الصحابي الجليل، الشجاع الحازم، صاحب الفتوحات يضرب بعدله المَثَل، كان في الجاهلية من أبطال قريش وأشرافهم، وله سفارة فيهم يُنافِرعنهم، وينذرمَن أرادوإنذاره، أسلم قبل الهجرة بخمس سنين، وشهد الوقائع، قتله ابؤلؤلؤة فيروزالفارسي سنة ٢٣هـ=٦٤٤م.
[الإصابة٢:٥١٨-٥١٩، الأعلام ٥:٤٥]

آثار أنبيائكم مساجد ؟إنما هلك من كان قبلكم بهذا، مَن أدركته فيه الصلاة فليصل و إلَّا فليمض(١).

وتؤكد هذا المعنى أُمُّ المؤمنين عائشة رضي اللّٰه عنها(٢)فتقول:نزول الأبطح ليس بسنة،إنمانزله رسول اللّٰهﷺأنه كان أسمح لخروجه ﷺ إذا خرج (٣) .

ولقد قَرَّرَ كثيرٌمن أهل العلم هذاالمعنى(٤).

الأفعال النبوية من حيث الإتباع والتأسي:

تنقسم أفعال النبيﷺمن حيث الإتباع والتأسي إلى ثلاثة أقسام،وهي:

---

(١) مجموع الفتاوى١٠:٢٢٠،٢١١:١٠.

(٢) عائشة بنت أبي بكرالصديق[عبداللّٰه بن أبي قحافة:عثمانﷺ]من قريش،أفقه نساء المسلمين وأعلمهن بالدين، تزوجها النبيﷺ في السنة الثانية بعد الهجرة ، فكانت أحب نسائه إليه،وأكثرهن روايةً للحديث عنه،توفيت في المدينة المنورة سنة:٥٨هـ=٦٧٨م،رُوي عنها: ٢٢١٠أحاديث.

[الإصابة٤:٣٥٩،الأعلام ٥:٢٤٠]

(٣) أخرجه مسلم ،كتاب الحج [١٥]باب استحباب النزول بالمحصب يوم النفر[٥٩] برقم:١٣١١.

(٤) كالحافظ ابن تيمية،حيث يقول:وما فعله النبيﷺعلى وجه التعبد فهوعبادةٌ،يشرع التأسي به فيه،فإذا خصص زمان أو مكان بعبادة كان تخصيصه بتلك العبادة سنة،كتخصيصه العشرالأواخر بالإعتكاف فيها و كتخصيصه مقام إبراهيم بالصلاة فيه،فالتأسي به أن يفعل مثل مافعل على الوجه الذي فعل،لأنه فَعَلَ،وذلك إنمايكون بأن يقصدمثل ماقصد،فإذاسافرلحج أوعمرة أوجهادوسافرنا كذلك،كنامتابعين له،وكذلك إذاضرب لإقامة حدٍ،بخلاف مَن شاركه في السفر،وكان قصده غير قصده،أوشاركه في الضرب،وكان قصده غيرقصده فهذاليس بمتابع له،ولوفعل فعلاًبحكم الإتفاق مثل نزوله في السفربمكان أوأن يفضل في إداوته ماء فيصبه في أصل شجرة ، أوأن تمشي راحلته في أحدجانبَي الطريق ونحوذلك فهل يستحب قصدمتابعته في ذلك؟كان ابن عمر ﷺ يحب أن يفعل مثل ذلك ، وأمَّا الخلفاء الراشدون وجمهورالصحابة ﷺ فلم يستحبوا ذلك ، لأن هذا ليس بمتابعة له،إذالمتابعةلابد فيها من القصد ، فإذلم يقصد هوذلك الفعل،بل حصل له بحكم الإتفاق كان في قصده غيرمتابع له،وابن عمرﷺيقول:وإن لم يقصده لكن نفس فعله حسن على أيِّ وجهٍ كان،فأحب أن أفعل مثله،إمَّالأن ذلك زيادة في محبته وإمَّالبركة مشابهته له.

[مجموع الفتاوى ١٠:٢١١]

قال الآمدي:لووَقع فعلهﷺ في مكان أوزمان مخصوصٍ فلامدخل له في المتابعة والتأسي،و سواء تكررأولم يتكرر إلا أن يدلُّ الدليل على اختصاص العبادة به كاختصاص الحج بعرفات،و اختصاص الصلوات بأوقاتها،وصوم رمضان . [الإحكام في أصول الأحكام١:١٣٧]

[١] **الأفعالُ الجِبِلِيَّةُ:**

كالقيام والقعود والشرب والنوم وغيرذلك،وهي نوعان من جهة التأسي والإتباع:

الأول: نوع جاء النص الخارج عن الفعل بإيجابه أوندبه،كالأكل باليمين،والشرب ثلاثا،والنوم على الشق الأيمن فهذا يشرع التأسي والإقتداء به في ذلك.

الثاني: نوعٌ لم يأت نَصٌّ دالٌّ على مشروعيته،وهوباقٍ على الأصل من حيث الإباحة للجميع،وذلك لأن الأوصاف التي يطبع عليها الإنسان كالشهوة إلى الطعام والشراب لايطلب برفعهماولابإزالة ماغرزفي الجِبِلَّةِ منها[١].

وهذا النوع محل خلاف بين أهل العلم في مشروعية التأسي والإقتداء به ﷺ فيه على جهة الندب **على قولين:**

الأول: أن التأسي والإقتداء بالنبي ﷺ في هذاالنوع مندوب،وقدكان ابن عمر رضي الله عنه[٢] يفعل مثل ذلك،وإن كان قد فعله ﷺ اتفاقاً،ولم يقصده.

الثاني: أنه لايشرع التأسي والإقتداء بالنبي ﷺ في هذاالنوع،وهذاقول وفعل جمهور الصحابة رضي الله عنهم،ومنهم الفاروق وعائشه رضي الله عنهما كمافي كلامهماالمتقدم[٣].

ويلحق بالأفعال الجبلية:الأفعال التي فعلهاالنبي ﷺ بمقتضى العرف والعادة كلبس الجبة والعمامة وإطالة الشعرونحوذلك،إذ لا تدل على غير الإباحة إلَّا إذا ورد دليلٌ على مشروعيتها[٤].

[٢] **الأفعال التي عُلِمَ أنَّها مِن خصائصه ﷺ:**

ذكرأهل العلم في باب خصائصه ﷺ أمورمن المباحات والواجبات والمحرمات بعضها متفق على حكمه بالنسبة له ﷺ وبعضها الآخر فيه خلاف.

---

(١) الموافقات ٢:١٠٨.

(٢) عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه العدوي،أبوعبدالرحمن،صحابي،من أعز بيوتات قريش في الجاهلية والإسلام،كان جريئاً جهيراً،نشأفي الإسلام،هاجرمع أبيه إلى المدينة،وشهد فتح مكة،مولده ووفاته فيها،أفتى الناس في الإسلام ستين سنة،غزافريقية مرتين،كف بصره في آخرحياته،وهوآخرمَن توفي بمكة من الصحابة سنة:٧٣هـ=٦٩٢م،له في كتب الحديث ٢٦٣٠ حديثاً.

[تهذيب الكمال ١٥:٣٢٧،الأعلام٤:١٠٨]

(٣) راجع مجموع الفتاوى١:٢١٩-٢٢٠.

(٤) أنظر:أفعال النبي ﷺ للأشقر١:٢٣٥.

فمن المباح له ﷺ: الزيادة على أربع نسوة في النكاح، والنكاح بِلامَهرٍ، ونكاح الموهوبة.

ومن الواجب عليه ﷺ: وجوب التهجد، وقيام الليل.

ومن المُحَرَّم عليه ﷺ: الأكل من الصدقة، وأكل ذي الرائحة الخبيثة كالثوم والبصل.

فهذه خصائص لايشاركه فيهاأحدٌ، ولايُقْتَدَى ولا يُتَأَسَّى به فيها(١).

ويلحق بهذاويرجع إليه: ماخص به رسول الله ﷺ بعض أصحابه دون بعض، كشهادة خزيمة بن ثابت ﷺ(٢) وأضحية أبي بردة ﷺ(٣) كما يلحق به ماخص به ﷺ أهل

---

(١) **قال الإمام الآمدي:** أمَّا ماكان من الأفعال الجِبِلِّيَّة كالقيام والقعود والأكل والشرب ونحوه فلانزاع في كونه على الإباحة بالنسبة إليه وإلى أمته، وأمَّاما سوَى ذلك مماثبت كونه من خواصِّه التي لايُشاركه فيها أحدٌ، فلا يدُلُّ ذلك على التشريك بيننا وبينه فيه إجماعاً، وذلك كإختصاصه بوجوب الضُّحَى والأضحَى والوتر والتهجد بالليل والمشاوَرة والتخييرلنسائه، وكإختصاصه بإباحة الوصال في الصوم وصَفِيَّةِ المَغنَمِ، والإستبداد بخمس الخمس، ودخول مكة بغيرإحرام، والزيادةُ في النكاح على أربع نسوةٍ، إلى غيرذلك من خصائصه.

[الإحكام في أصول الأحكام ١:١٣٨]

(٢) خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة ﷺ الأنصاري، أبوعمَّارة، من أشراف الأوس في الجاهلية و الإسلام، ومن شجعانهم المقدمين، كان من سكان المدينة، وحمل رأية بنى خَطْمَة من الأوس يوم فتح مكة، قتل بصفين سنة: ٣٧هـ=٦٥٧م، روى له الأئمة ٣٨ حديثاً.

[تهذيب الكمال ٨:٢٤٣، الأعلام ٢:٣٠٥]

إنماقيل له ذو الشهادتين، لأن رسول الله ﷺ أجازشهادته بشهادةرجلين، أخرج ذلك أبوداؤد في الأقضية[١٨]باب إذاعلم الحاكم صدق الشاهدالواحد يجوزله أن يحكم به [٢٠]برقم:٣٦٠٨ والنسائى فى البيوع [٤٤] باب التسهيل فى ترك الأشهاد على البيع[٨١] برقم:٤٦٤٨.

(٣) اسمه هانئ بن نيار. [عمدة القارئ ٢١:٤٥]

وهوخال البراء بن عازب ﷺ، وقيل: اسمه الحارث وقيل غير ذلك. [الهدىُ الساري:٢٤٢]

وأماقصة أضحيته، فعن البراء بن عازب ﷺ قال: قال النبى ﷺ: إن أول مانبدأبه في يومناهذا، نصلّي، ثم نرجع فننحر، مَن فعله فقدأصاب سنتنا، ومن ذبح قبل فإنماهولحم قدَّمه لأهله، ليس من النسك في شيئ، فقام أبوبردة بن نيار، وقد ذبح فقال: إن عندي جَذَعَةٌ [خَيرٌمن مُسِنَّةٍ] فقال: إذبحها، ولن تجزئ عن أحد بعدك.

أخرجه البخاري، كتاب الأضاحي[٧٣]باب سنة الأضحية [١]برقم:٥٥٤٥، ومسلم، كتاب الأضاحي[٣٥]باب وقتها[١]برقمي:٤، ٥-[١٩٦١]والنسائي، كتاب صلاة العيدين[١٩]باب باب الخطبة يوم العيد[٨]برقم:١٥٦٣.

بيته ﷺ كالمنع من أكل الصدقة.

[٣] **الأفعال التعبدية:**

وهي الأفعال غير الجِبِلِّيَّة، وغير الخاصة التي يقصد بها التشريع، فهذه مطلوب الإقتداء والتأسي به ﷺ فيها، وهي الأصل في أفعال النبي ﷺ لقول الله تعالى: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيْ رَسُوْلِ اللّٰهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللّٰهَ وَالْيَوْمَ الْاٰخِرَ(١). إلَّا أن صفتها الشرعية تختلف من حيث الإيجاب أو الندب بحسب القرآئن.

البحث الرابع: جهود الأئمة في حفظ السنة

بلغ رسول الله ﷺ دين الله تعالى أكمل بلاغ وأتمه، وحرص على تعليم أصحابه و تفهيم دلائل الكتاب والسنة، ولقد تتابع إهتمام السلف الصالح بحفظ السنة ونقلها على الوجه الصحيح منذ عصر الصحابة ﷺ إلى عصرنا هذا حتى إن الصحابة ﷺ لإستشعارهم أهمية هذا الأمر العظيم، نقلوا لَنَا كل كبير وصغير من حياة النبي ﷺ مما يحتاجه الناس في دينهم سواء أكان ذلك في حال إقامته أو سفره، في سِلمه أو حربه، في رِضاه أو غضبه، حتى في خاصته مع زوجات أمهات المؤمنين رضي الله عنهن وفي شأنه كله(٢).

ولهذا قال أبو ذر الغفاري ﷺ(٣): تركنا رسولُ الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في الهواء إلَّا وهو يُذَكِّرُنا منه علماً قال: فقال رسول الله ﷺ: ما بقي شيئٌ يقرب من الجنة، ويباعد من النار، إلَّا وقد بُيِّنَ لكم(٤).

---

(١) سورة الأحزاب ٣٣:٢١.

(٢) ومن الأمثلة اللطيفة في دِقَّةِ الصحابة ﷺ في النقل قول عبدالله بن مسعود ﷺ: لقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه.

[صحيح مسلم، كتاب الإيمان [١] باب آخر أهل النار خروجاً [٨٣] برقم: ٣٠٨-[١٨٦]]

(٣) جُندُب بن جُنادة بن سُفيان بن عُبيد ﷺ من بني غِفار، من كنانة بن خزيمة، أبو ذر، صحابي، من كبارهم، قديم الإسلام، يقال: أسلم بعد أربعة، وكان خامساً، وهو أول من حَيَّا رسول الله ﷺ بتحية الإسلام، هاجر بعد وفاة النبي ﷺ إلى بادية الشام، وسكن دمشق في خلافة عثمان ﷺ، روى له الأئمة ٢٨١ حديثاً، وفي اسمه واسم أبيه خلافٌ، توفي سنة: ٣٢هـ=٦٥٢م.

[تهذيب الكمال ٣٣:٢٩٤، الأعلام ٢:١٤٠]

(٤) المعجم الكبير ٢:١٥٦، الحديث: ١٦٤٧.

وهذا مصداق قوله ﷺ: قد تركتم على البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلَّا هالكٌ، مَن يعش منكم فسيَرَى اختلافا كثيراً، فعليكم بما عرفتم من سنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين(١).

وعلى الرغم مِن تتابع القرون، وتعاقب الأجيال، وعلى الرغم من كثرة الزنادقة و المفسدين، إلَّا أن الله حفظ سنة نبيه ﷺ من التبديل والتحريف، وبذل أئمة الإسلام جهوداً عظيمةً جداً في حفظها، ورِعايتها، ووقفوا سدًّا منيعاً في وجوه الزنادقة والعابثين قديماً وحديثاً، وهذه منة جليلة على هذه الأمة، نحمد الله تعالى عليها حمداً كثيراً.

وقد تمثلت جهود الأئمة في حفظ السنة في مسائلٍ عديدةٍ، أذكر منها:

أولاً: حفظ السنة وضبطها في عصر النبي ﷺ وعصر الصحابة رضي الله عنهم

حَثّ النبي ﷺ على رعاية السنة النبوية وحفظها ونقلها، فقال: بلغوا عني ولو آيةً(٢) وكان ﷺ يقول في مناسبات عديدة: وليبلغ الشاهد الغائب(٣).

وكان النبي ﷺ حريصاً أشد الحرص على أن ينقل كلامه نقلاً صحيحاً دقيقاً، ويتبين ذلك في الأمور التالية:

[١] **ترغيبه ﷺ في حفظ السنة ونقلها:**

رغب رسول الله ﷺ في حفظ السنة، ودعا لِنَقَلَةِ الحديث بالنَّضَارة والبهاء فقال: نَضَّر الله امْرَءاً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره، فرُبَّ حامل فقه إلى مَن هو أفقه منه ورُبَّ حامل فقه ليس بفقيه(٤).

---

(١) أخرجه ابن ماجة، المقدمة، باب إتباع سنة الخلفاء الراشدين [٦] برقم: ٤٣، وأحمد ٤: ١٢٦، و الحاكم في المستدرك ١: ٩٦.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء [٦٠] باب ماذكر عن بني إسرائيل [٥٠] برقم: ٣٤٦١.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب العلم [٣] باب قول النبي ﷺ: رُبَّ مبلغ أوعى من سامع [١٠] برقم: ٦٧، وكتاب العلم [٣] باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب [٣٨] برقم: ١٠٤.

(٤) أخرجه أبو داؤد، كتاب العلم [١٩] باب فضل نشر العلم [١٠] برقم: ٣٦٦٠، والترمذي، كتاب العلم [٤٢] باب ماجاء في الحث على تبليغ السماع [٧] بالأرقام: ٢٦٥٦-٢٦٥٨

وكان ﷺ يقول لأصحابه: إحفظوهن، وأخبروا بهن مَن وراءكم[١].

وقال لمالك بن الحويرث رضي الله عنه[٢] وأصحابه: لو رجعتم إلى بلادكم فعلمتموهم[٣].

[٢] دعاؤه ﷺ لأصحابه بالتفريم والحفظ:

كان رسول الله ﷺ يدعو لبعض أصحابه بالفقه والفهم، فهو يقول عن ابن عباس رضي الله عنهما[٤]: أللهم فَقِّهْهُ في الدين[٥].

وكان ﷺ يدعو لبعض أصحابه بالحفظ والضبط، فهاهو ذا يقول لبعض أصحابه يوماً: مَن يبسط ثوبه حتى أقضي مقالتي ثم يقبضه إليه لم ينس شيئاً سمع مني أبداً. قال أبو هريرة رضي الله عنه[٦]: ففعلتُ، فوالذي بعثه بالحق ما نَسِيْتُ شيئاً سمعته منه[٧].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان[٢] باب أداء الخمس من الإيمان[٤١] برقم: ٥٣، وكتاب العلم[٣] باب تحريض النبي ﷺ وفد عبدالقيس على أن يحفظوا الإيمان[٢٦] برقم: ٨٧.

(٢) مالك بن الحُوَيْرِث بن حُشَيْش رضي الله عنه أبو سليمان الليثي، له صحبة، قدم على النبي ﷺ فأسلم وأقام عنده، ثم أذِن له في الرجوع إلى أهله ونزل البصرة. [تهذيب الكمال ٢٨: ١٣٢-١٣٣]

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الأذان[١٠] باب إذا استووا في القراءة فليؤمهم أكبرهم[٤٩] برقم: ٦٨٥.

(٤) عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب رضي الله عنهما القرشي الهاشمي، أبو العباس، حبر الأمة، الصحابي الجليل وُلِدَ بمكة ونشأ في بدء عصر النبوة، كُفَّ بصره في آخر عمره فسكن الطائف وتوفي بها سنة: ٦٨هـ = ٦٨٧م، روى له الأئمة ١٦٦٠ حديثاً. [تهذيب الكمال ١٥: ١٥٤، الأعلام ٤: ٩٥]

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الوضوء[٤] باب وضع الماء عند الخلاء[١٠] برقم: ١٤٣.

(٦) عبدالرحمن بن صخر الدوسي رضي الله عنه الملقب بأبي هريرة: صحابي، كان أكثر الصحابة للحديث وراية له، نشأ يتيماً ضعيفاً في الجاهلية، وقدم المدينة ورسول الله ﷺ بخيبر، فأسلم سنة: ٧هـ، ولزم صحبة النبي ﷺ فروى عنه: ٥٣٧٤ حديثاً، نقلها عنه أكثر من ٨٠٠ رجل بين صحابي وتابعي، توفي سنة: ٥٩هـ = ٦٧٩م. [تهذيب الكمال ٣٤: ٣٦٦، الأعلام ٣: ٣٠٨]

(٧) أخرجه البخاري، كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة[٩٧] باب الحجة على مَن قال إن أحكام النبي ﷺ كانت ظاهرةً[٢٢] برقم: ٧٣٥٤، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة[٤٤] باب مِن فضائل أبي هريرة رضي الله عنه[٣٥] برقم: ٢٤٩٢.